

حزب الاستقلال المراكشي

مظهر من مظاهر الكفاح العربي للحرية

لباحث فاضل

—•••••—

في فاتحة يناير ١٩٤٤ تأسس بمراكش حزب سياسي كبير تحت اسم (حزب الاستقلال) انتظمت في سلكه جميع الأحزاب والهيئات السياسية الموجودة من قبل . وفي يوم ١١ يناير ١٩٤٤ حرر مذكرة قدمها إلى جلالة ملك مراكش وإلى ممثلي إنجلترا والولايات المتحدة وفرنسا وروسيا يعلن ضرورة الاعتراف باستقلال مراكش استقلالاً تاماً وإجراء انتخابات لتأليف مجلس تأسيسي ينظم البلاد تنظيمياً دستورياً وتوقيع الحكومة المراكشية على وثيقة الأمم المتحدة ليصبح لها الحق في مشاركة العالم الحر في مؤتمراتها ومسئولياته في تنظيها ما بعد الحرب .

وقد وجدت الأمة المراكشية في مذكرة حزب الاستقلال تعبيراً صريحاً وصادقاً عن رغبتها فاندفعت تؤيدها بكل حماسة

فكاهته — على أقصى الجِدِّ الرير . وفي هذا يقول في بعض خواطره :
وهكذا ترك لي « أبو مرة ظالم بن الحارث » زاده كله ،
فرحت آكل من طعامه هنيئاً مريئاً بعد أن هيات لي كوارثه
ونكباته ، ما لم تهيبه لي مباهجه ومسرانه .

إلى أن يقول : « كم سعد سعيد بشقوة شقي ، وللقدر تصريف
خفي . وغرق مركب بمن فيه ، ولم ينج أحد من راكبيه . فهلك
السفر والريان ، وراحوا زاداً للسك والحيتان .

تم هذا كله فكان ماذا ؟

قامت النوادب في ديار الفرق والناحات ، وأعلنت الأفراح
في قاع البحر وعمت الباهج والسرور . ولولا غرق المركب بمن
فيه من الناس ، لما تم للسك ما يطمح إليه من بشر وإيناس ، ولما
أقام الولائم والأعراس . « كم للقدر من عجائب وفنون ، ولله في
خلقه شئون .

لمل كبريتي

(البقة في المدد القادوم)

بوادي وحواضر ، ورأى الفرنسيون والحلفاء بأعينهم إجماع أمة
بأكملها طيلة ثلاثة أسابيع إلى أن انقلبت ميادين التأييد وتقرير
المصير إلى ميادين قتال ودماء ووحشية مظلمة تسجل المار الأبدى
على الفرنسيين .

وأقبل من منصبه ونق إلى الصحراء صاحب المالى وزير
المدلية الإسلامية سيدى محمد بن العربي ، وصاحب المالى وزير
المعارف العلامة الحاج احمد بركاش ، وسعادة محافظ العاصمة ، كما
اعتقل الكاتب العام لحزب الاستقلال احمد بلافريج وقدم
للمحاكمة العسكرية هو وثلة من الزعماء السياسيين ، بحجة
الاتصال بالألمان ، وقد حكمت المحاكم العسكرية ببراءتهم جميعاً ،
فأخرج بلافريج من السجن العسكري إلى جزيرة كورسيكا حيث
هو الآن منق مع زوجته .

وقد أكد حزب الاستقلال في تلك الظروف السود أن
موقفه لم يتغير وأن مذكرة ١١ يناير هي الأساس الوحيد لكل
تفاهم مع الفرنسيين . أما الفرنسيون فقد نظموا هجوماً سياسياً
مضاداً هو إعلان دار الحماية عزمها على إدخال بعض الإصلاحات
بعد أن تؤسس لجائناً رسمية تدرس لها ما تحتاجه مراكش من
الإصلاحات . وقد كتب حزب الاستقلال مذكرة مطولة قدمها
للفرنسيين وأظهر فيها ما يحتوى عليه برنامج دار الحماية من مراوغة
وسخف ، كما أكد أن مذكرة ١١ يناير هي وحدها الحل الوحيد
الممكن للتقارب بين المراكشيين والفرنسيين .

ماذا يريد الفرنسيون من مراكش ؟

يريدون أن تبقى جاهلة ، ولا أدل على ذلك من أن المراكشيين
لم ينتجوا زهاء ثلث قرن كامل قضاؤه تحت تحككات الفرنسيين
سوى ثلاثة أطباء ونحو سبعة محامين ووزر من المدرسين !

ويريدون منها أن تكون مفككة المرى متنازعة مقسمة
على نفسها ، ولا أدل على ذلك من (الظهير البربري)
التبهير الصادر يوم ١٦ مايو ١٩٣٠ والمرسومات والقرارات التي
تبنته والتي فرضت على سكان البوادي المغربية أن يخرجوا عن
الإسلام بالنار والحديد والشنق ، وأن يقطعوا كل صلة باللغة العربية
وأن يعزلوا عزلاً عن كل اتصال ببقية مواطنيهم المراكشيين .
ويريد الفرنسيون من مراكش أن يكون فلاحوها منشردين

وقطاع طرق ، ولا أدل على ذلك من مرسوم ١٩٢٧ القاضي باعتبار نزع أراضي الفلاح المراكشي لقائدة « المستعمر » الفرنسي من المصلحة العامة . ولتصور القارىء أن مراكش من الأقاليم التي تشيع فيها الملكية الصغيرة ، فتكون (عزبة) للتعمير تطلب اعتياديا نزع أراضي مئة إلى مئة وخمسين فلاحا مراكشيا يسلمون أراضيهم العزيزة لسيدم المستعمر وينزلون هم إلى المدن يائسين من الحياة يزيدون في عدد البؤساء المجرمين . وهذه السياسة مستمرة منذ صدر مرسوم ١٩٢٧ .

ويريد الفرنسيون من مراكش ألا يسمع فيها صوت غير صوتهم ولا تنفذ إرادة غير إرادتهم ، وليس أدل على ذلك من أن مراكش تعيش قانونياً وعملياً تحت الحصار « الأحكام العرفية » منذ سنة ١٩١٤ إلى اليوم ، وهي مقسمة إلى مناطق على رأس كل منطقة منها حاكم عسكري ليس لسبطته حدود ، وعلى رأس الحكام العسكريين القائد الأعلى لجيوش الإحتلال يده تفويض تام لإصدار أوامر باسمه متى شاء وكيف شاء ، فالراسيم الملكية نفسها يوقف تطبيقها أو يناقضها أو يعدلها بحسب مصلحة جيش الإحتلال ووفقاً للمرسوم الملكي نفسه الصادر سنة ١٩١٤ القاضي بوضع البلاد تحت حالة الحصار « الأحكام العسكرية » وطبقاً لهذه الحالة المؤلفة ليس للمراكشيين ولا جريدة واحدة أو مجلة ، بينما تصدر الجالية الفرنسية عشرات الجرائد والمجلات من كل الألوان والنزعات . وليس للمراكشيين الآن ولا جمعية واحدة . وقد حلت إبان حوادث يناير ١٩٤٤ جميع الجمعيات والمهيات التي كان يسمح بها من قبل لغايات استثمارية مختلفة . والمراكشيون محظور عليهم بحكم مرسوم ١٩٣٨ أن ينتسبوا لأية نقابة ، ومحظور عليهم أن يعقدوا أى اجتماع كيفما كانت صبغته ، ومحظور عليهم أن يتظلموا أو يقدموا عرائض تكشف عن رغباتهم . وليس للمراكشيين أية هيئة انتخابية تمثلهم إزاء السلطة بينما ينتخب الفرنسيون في مراكش للمجالس البلدية والنرف الفلاحية « الزراعية » والتجارية والصناعية وللمجلس شورى الحكومة المراكشية والبرلمان الفرنسي مباشرة ورغم وضع مراكش الدولى والوطنى . والمراكشيون محظور عليهم التعليم الحر بينما أطفالمهم الضنار على حد ما جاء في خطاب جلالة الملك يوم ١٨ نوفمبر الأخير متشردون في الطرقات العامة لا يجدون مدارس تكون منهم رجالاً قديرين ، ولا تسع

المدارس الحالية لأكثر من ثلاثين ألف طفل فقط . والمراكشيون يعيشون تحت نظام بوليسى محكم ، سير الإنسان والأرصاد الجواسيس تتبعه وأخباره يبحث عنها حتى في منزله ومع أولاده ، وكل شخص من المحتمل استدعاؤه لإدارة المحافظة على الأمن حيث يذوق ألواناً من التعذيب الجثمانى والكلام على تهمة مختلفة أو تافهة ، ومن الممكن إبقاؤه تحت يد الشرطة في آفاق التعذيب المظلمة شهراً أو أكثر ثم إطلاقه من غير أن يمر بمحاكمة أو يسمع له بدفاع يثبت براءته عند البوليس ... ليتصور القارىء أن روح الشرف وعاطفة التضامن والشجاعة ونفاوة الضمير وكل ما يعتبر فضيلة في علم الأخلاق يعتبر في نظر الفرنسيين في مراكش جرائم خطيرة يطارد أصحابها ويشكل بهم شرنكيلا ؛ لأن العقيلة الاستعمارية الفرنسية لا تعترف بحياة لأحد مطلقاً ؛ فأما خادم لهم يدل على غيره ويتعلق لأصغر الجواسيس وهو يتظاهر بالرضى والابتسام ، وإما عدو تفرقل مصالحه اليومية باستمرار وينتظر به أول فرصة ليرمى به في السجن أو يساق إلى غرف التعذيب في قسم المحافظة على الأمن .

هذه هي الحالة النفسية والمادية التي تعيش عليها مراكش تحت الاستثمار الفرنسى المفروض ، ولكن المراكشيين يفضلون الموت على هذه الحياة التعيسة التي ساءت منهم من البؤس القظيم ما لا يطيقون . لذلك صرخ حزب الاستقلال حزب مراكش الأعظم والوحيد باسم اثنى عشر مليون مراكشى أن (لاحاية) ، فزول الفرنسيون للتأييد الجارف الذى لقيته هذه الصرخة النيفة من ملايين المواطنين ابتداء من صاحب الجلالة ملك البلاد المحبوب إلى أصغر فلاح في جبل الأطلس ، ثم سدوا بنادقهم المجرمة ونيرانهم إلى صدر شعب برىء وقالوا إن يد الألمان حركته .

وهذا الشعب الذى لم ينجح الفرنسيون أن يقولوا إن يد الألمان حركته هو الشعب الذى قدم بسخاء دم أبنائه النفيس ليحرر صقلية وتونس وإيطاليا وفرنسا ووضع جميع موارده الاقتصادية وقواعده الحربية تحت تصرف المكافحين في سبيل الحرية لتصبح العدالة فارضة على الجميع أن يحترموا له حريته هو أيضاً من غير أن يضطر إلى إراقة دمه مرة أخرى .